مدرسة الإسكندرية

الشهادة بحسب الإنجيل (٢)

الراهب سارافيم البرموسي

إن لم تؤمنوا فلن تفهموا

العدد الخامس - ٢٠١٠

مجلة مدرسة الإسكندرية

عدد ٥

الشهادة بحسب الإنجيل (٢)

الراهب سارافيم البرموسي

الشهادة بحسب الإنجيل (٢)

إعداد الراهب سارافيم البرموسي

في المسيح،
ألكسندر ليس ميّتًا،
ولكن يحيا فوق النجوم ...
إنّه بالكاد يحيا مَنْ عاش في الأزمنة المسيحيّة
شاهد على أحد قبور سراديب روما القديمة
عن كتاب شهيد السراديب

لقد تعرّفنا في مقالنا السابق على مصطلح الشهادة في النصوص الكتابيّة والذي تباين من حيث الاستخدام ما بين التناول المباشر للشهادة الشفويّة أو القلبيّة وما بين الشهادة موتًا، تلك التي لم ترد سوى في نصوصٍ قليلة أهمّها ما ورد في سفري الأعمال والرؤيا.

وهنا سنتناول مفهوم الشهادة عند الآباء، إذ كانت الشهادة واقعًا ملموسًا وإكليلاً مُتحلّقًا فوق رؤوسهم، منهم من اقتنصه وتكمّل بالألم لمعانقة المخلِّص، ومنهم من عاش على حنين أشواقه ولكنّه جسّدها جُرأةً وإيمانًا وتحرُّرًا إلى أقصى درجة إنسانيّة ممكنة، فنالوا إكليل شهادة الحياة في المسيح، وجالسوا جوقة الشهداء على مائدة الحمل.

سنحاول في هذا المقال رصد بعض ملامح تطوُّر مصطلح الشهادة، فضلاً عن معنى الشهادة، في جولةٍ بين نصوص الآباء. لن نحشد نصوصًا، وما أكثرها، ولكننا سنعرج لنقتطف لنا من بين الكلمات الآبائيّة ما يوضّح لنا الصورة ويُكمِّل فهمنا لما كانت تعنيه الشهادة؛ اصطلاحًا ومعنىً، في الكنيسة، وسنترك الدخول في تفاصيل فهم الشهادة إلى مقالٍ لاحق، للحديث عن جوهر الشهادة في قلوب المسيحيين في الكنيسة حتّى القرن الخامس الميلادي.

التطوُّر الاصطلاحي لكلمة «شهيد μάρτυς» ومشتقّاتها في الكتابات الكنسيّة:

. عند الآباء الرسوليين

لقد وردت في الرسالة الأولى لكليمندس الروماني كلمة μαρτυρεῖν (١كليمندس٥: ٤ ،٧)، بينما لم نجد لها أثرًا بالمعنى الاصطلاحي المباشر الدّال على الموت عند كلٍّ من إغناطيوس الشهيد وهرماس الراعي ويوستينوس الشهيد.

بالرغم من أن رسائل القديس إغناطيوس غنيّة بحس الشهادة، إلاّ أننّا حينما نفتِّش عن المصطلحات المُستخدمة للتعبير عن الشهادة لا نجد، ولعلّ القديس إغناطيوس كان معنيًّا بالحدث نفسه (الموت) وما يليه من أفراح أبديّة، استغرق فيها، فلم يُدوِّن عن شهادته بقدر ما كتب عن أشواقه المتدفِّقة والتي تريد أن تصل إلى ميناء ملكوت اللّه. كذلك كُتبت رسائل القديس إغناطيوس بخطّ يده وهو الأمر الذي دعاه لينأى بنفسه عن إطلاق لقب شهيد على ذاته، وهو ما يختلف عنه في رسائل كليمندس الروماني والذي تحدّث عن شهادة بطرس وبولس، أيضًا رسالة استشهاد بوليكاربوس التي لم يخطّها بيده، بل دوّنها آخر، وهو ما أتاح له الفرصة لتقريظ بوليكاربوس ووصفه بالشهيد μάρτυς، كما استُخدمت مشتقاتها اللغويّة لتُعبِّر تمامًا عن الشهادة المسيحيّة كما نعرفها الآن[1].

في رسائل كليمندس الروماني (١٠١م)

[1] انظر: الآباء الرسوليون، عرّبه المثلّث الرحمات البطريرك الياس الرابع، (منشورات النور: لبنان، ١٩٨٢)، شهادة بوليكاربوس، ص ١٥٦-١٦٤. تمّ مراجعة النصّ اليوناني على Lightfoot's edition.

الشهداء عند كليمندس الروماني هم جمعٌ كبيرٌ من المختارين πολὺ πλῆθος ἐκλεκτῶν الذين تحمّلوا الكثير من الإهانات والعذابات، صائرين لنا مثالاً[٢] ὑπόδειγμα. ومن أمثلتهم؛ ذانايذاس وديركي (يُعتقد أنهما من شهيدات عصر نيرون) اللتين تألمتا كثيرًا ولكنهما نالتا المكافأة عن ثباتهما في الإيمان بالرغم من ضعف جسديهن[٣].

نقرأ في رسالة كليمندس الأولى إلى أهل كورنثوس عن استشهاد القديس بطرس بعد مروره بالكثير من العذابات، وكانت الشهادة هي مَعْبَره للمجد؛ "وحينما احتمل [بطرس الرسول] العذابات الكثيرة ومن ثمّ الاستشهاد μαρτυρήσας، ذهب إلى موضع المجد المُعَد له"[٤]، أمّا القديس بولس فقد غادر العالم عن طريق الشهادة بعد أن أدّى رسالته في نشر كلمة الخلاص للعالم أجمع؛ "وبعد أن علّم العالم، البر، ذاهبًا إلى حدود الغرب القصوى، استشهد μαρτυρήσας [على أيدي] الحكّام"[٥].

لقد شهد الكتاب المقدّس للكثير من الأنبياء وعلى رأسهم إبراهيم أبو الآباء؛ "لقد حظي إبراهيم بشهادة عظيمة ἐμαρτυρήθη μεγάλως، ودُعي صديق الله ..."[٦]. كما شهد أيضًا للأنبياء الذين أعلنوا عن مجيء المسيح وهم في ثياب الفقر وأسمال النُسك البالية؛ "فلنتشبه نحن بأولئك الذين أعلنوا عن مجيء المسيح، وهم في ثياب الماعز والنعاج، أعني؛ إيليا وإليشع وحزقيال، من بين الأنبياء، فضلاً عن آخرين أيضًا، قد حظوا بشهادة μεμαρτυρημένους [من الكتب المقدّسة]"[٧]. ولكن الشهادة لداود التي سجّلها لنا الكتاب

---

[2] *The Ante-Nicene Fathers:* Translations of the writings of the Fathers down to A.D. 325., edit. By: Roberts, A., Donaldson, J., & Coxe, A. C.,(Oak Harbor: 1997), vol.1, *The First Epistle of Clement to the Corinthians*, ch vi, 1, p.6. Greek text revised on Lightfoot's edition.

[3] Idem.

[٤] الآباء الرسوليون، ص ٢٤-٢٥.

[٥] المرجع السابق، ص ٢٥.

[٦] المرجع السابق، ص ٣١.

[٧] المرجع السابق، ص٣١.

المقدّس كانت من الله نفسه؛ "وماذا نقول عن داود الذي نال شهادة μεμαρτυρημένῳ من الله ..."[٨].

كانت إحدى سمات الرسل القانونيّة أنّهم مشهودٌ لهم من الجميع في الكنيسة؛ "... لأنّكم كنتم بعد، على اتّصال دائم بالرسل المشهود لهم μεμαρτυρημένοις ..."[٩]. لذا أصبح من الضروري أن تكون شهادة الكنيسة هي أحد مقرّرات القبول للأسقفيّة؛ "ويُشترط أن يكون هؤلاء [المدعوون للأسقفيّة] من الذين خدموا رعيّة المسيح، بلا عيب وفي تواضعٍ، مشهودًا لهم μεμαρτυρημένους بالهدوء والوداعة"[١٠].

يرسم لنا كليمندس صورة للشهود الذين تأخذ بهم الكنيسة؛ إذ يجب أن يكونوا صادقين بلا موالاة وحكماء بلا خوفٍ، قضوا حياتهم أمام الكنيسة بلا عيبٍ ولا لومٍ؛ "أرسلنا لكم رجالاً صادقين وحكماء عاشوا بيننا منذ نعومة أظافرهم حتى الشيخوخة، وسيكونون شهودًا μάρτυρες بيننا وبينكم"[١١].

ويحذِّر كليمندس من الشهادة للنفس، فالقيمة الحقيقيّة للشخص هي ما يرصده الآخرون؛ "ليبتعد المتواضع عن الشهادة لنفسه μὴ εαυτῷ وليترك الآخرين يشهدون له μαρτυρείτω ἑαυτὸν μαρτυρεῖσθαι"[١٢].

في رسائل القديس إغناطيوس الأنطاكي (١٠٧م)

يستعير القديس إغناطيوس تعبير القديس بولس «الله شاهدٌ لي μάρτυς «γάρ μού ἐστιν ὁ θεός[١٣] والذي استخدمه مرارًا في رسائله، إذ يقول: "لقد كان البعض يشكون بي لأني أرى مسبقًا شقاقات البعض، ولكن الله

---

٨ المرجع السابق، ص ٣١.

٩ المرجع السابق، ص ٤٥.

١٠ المرجع السابق، ص ٤٣.

١١ المرجع السابق، ص ٥٢.

١٢ المرجع السابق، ص ٤١.

١٣ انظر: (في١: ٨).

شاهدي μάρτυς الذي من أجله أنا موثق، إنّ إنسانًا جسديًّا لم يعلن لي هذا"[١٤].

في رسالة استشهاد القديس بوليكاربوس (١٥٥-١٥٦م)

نقرأ في رسالة استشهاد بوليكاربوس عن الشهادة بشكلٍ غير مسبوق من حيث استخدام الاصطلاحات والتعبيرات المتنوِّعة عن الموت والشهادة.

إنّ بوليكاربوس ليس مُعلِّمًا للفضيلة فقط ولكن الفضيلة تجسَّدت فيه، وبلغت عنان السماء في مسلكه، وكان استشهاده بمثابة اكتمال الفضيلة في حياته بالتشبُّه الكامل بالمسيح؛ "لم يكن [بوليكاربوس] مُعلِّمًا شهيرًا فحسب بل شهيدًا لا مثيل له μάρτυς ἔξοχος"[١٥]. ولعلّ البعض يغفل العلاقة المباشرة بين الحياة والموت عند الشهداء، فلقد كان الشهداء يتمتّعون بروح نبويّة متجرِّدة من كلّ حسابات العالم المادي لصالح الحقّ والأبديّة. والنبوّة هي صوت الله للبشر ليس من خلال التنبّؤ بالمستقبل الغامض فحسب بل من خلال التبكيت على الخطأ، على شاكلة يوحنّا المعمدان الذي مات بسبب مجاهرته بالحقّ. هكذا كان القديس بوليكاربوس يحمل غُصن الرسوليَّة لتلمذته ليوحنا الرسول، وغُصن النبوَّة لمجاهرته بالحق في تعليمه، لذا كُتب عنه: "ومن بين الجميع يُعد بوليكاربوس شهيدًا μάρτυς جديرًا بالإعجاب، إذ كان معلِّمًا رسوليًّا ونبويًّا بآنٍ..."[١٦].

يبدأ كاتب الرسالة الحديث بالثناء على بطولة الشهداء الذين لم تفتر أفواههم عن صرخات ألمٍ أو أنين ندمٍ على ما يلاقونه من عذابات من أجل المسيح، ويستخدم الكاتب تعبيرًا جديدًا لوصف الشهداء؛ فهُم "شهداء المسيح"، إذ يقول: "لقد بلغت عظمة هؤلاء مبلغًا عظيمًا، إذ لم تفلت منهم أنّة

[١٤] الآباء الرسوليون، ص١٣١.

[١٥] المرجع السابق، ص١٦٣.

[١٦] المرجع السابق، ص ١٦٢.

أو تأوُّه، مؤكِّدين لنا أنّهم شهداء المسيح[١٧] μάρτυρες τοῦ Χριστοῦ"[١٨]. والشهادة ليست موقفًا إنسانيًّا ولكنّها عند القديس بوليكاربوس نعمة وهبة إلهية لتكريم مَنْ كانت حياتهم مرضيّة أمام اللّه؛ "أباركك لأنك أهلتني في هذا اليوم وفي تلك الساعة لأكون من عِدَاد شهدائك τῶν μαρτύρων ومن مساهمي كأس مسيحك لقيامة الروح والجسد في الحياة الأبديّة بدون فساد"[١٩].

إبّان موت بوليكاربوس الذبائحي؛ "تشكّلت النيران في هيئة قوسٍ، وكأنّها شراع مركب مُمتلئ بالرياح، مطوِّقةً جسد الشهيد τὸ σῶμα τοῦ μάρτυρος بشكلٍ دائري..."[٢٠]. لقد دفعت بطولة الشهداء البعض للخلط بين ذبيحة المسيح وذبيحة الشهداء، لذا حرص كاتب الرسالة أن يوضِّح الفرق بين المسيح والشهداء، إذ يقول: "إنّنا نعبد المسيح كابن اللّه ونُكرِّم الشهداء[٢١] μάρτυρας كتلامذة للرب ومتشبهين به"[٢٢].

. في كتابات الآباء اللاّحقة:

---

[١٧] لقد هربت أعدادًا هائلة من المسيحيين داخل الكهوف الواقعة خارج مدينة روما والتي كانت تشكّل حوالي ٦٠٠ ميل من الأنفاق غير المأهولة. ويقول العلماء أن عشرة أجيال من المسيحيين دُفنوا في تلك الكهوف في مدى زمني لا يتجاوز الثلاثمائة عام من القمع والاضطهاد. ويرى علماء الآثار أن عدد المسيحيين الذين دُفنوا في تلك الكهوف المظلمة يتراوح ما بين مليون وسبعمائة وخمسين ألف، وأربعة ملايين مسيحي. لقد تميّزت تلك الكهوف بالعديد من الرسومات البسيطة والتي كان من أبرزها السمكة، العلامة التي كان يتعرّف بها المسيحيون على بعضهم البعض. إلا أن الآية الأبرز التي نُقشت على تلك الجدران في تلك الحقبة كانت: «كلمة الله لا تُقيّد». انظر:
Tan, P. L.. *Encyclopedia of 7700 illustrations: A treasury of illustrations, anecdotes, facts and quotations for pastors, teachers and Christian workers*. Garland TX: Bible Communications 1996, no 3337, The Catacombs.

[١٨] الآباء الرسوليون، ص١٥٦-١٥٧.

[١٩] المرجع السابق، ص ١٦١.

[٢٠] المرجع السابق، ص١٦٢.

[٢١] "نحن لا نكرّم الشهداء بما يُكرَّم به الله". القديس أغسطينوس، مدينة الله، الجزء الأوّل، الكتاب الثامن، سلسلة التراث الروحي (دار المشرق: لبنان ٢٠٠٢) ف ٢٧ ص ٤١٥.

[٢٢] الآباء الرسوليون، ص ١٦٣.

نقرأ عن الاستشهاد الذي وقع في جنوب منطقة الغال (حاليًّا فرنسا) في عهد مرقس أوريليوس (١٦١-١٨٠م) *Marcus Aurelius* ولأول مرة نجد فرقًا اصطلاحيًّا بين كلمتي "المعترفين ὁμόλογοι" و"الشهداء μάρτυρες"[٢٣] حيث جاء "لقب **الشهادة** ἡ τῆς μαρτυρίας προσηγορία" من نصيب المسيح نفسه.

لقد عانى المسيحيون هناك من ويلات الاضطهاد إذ "لم **يستشهدوا** مرّة أو مرّتين بل العديد من المرّات οὐχ ἅπαξ οὐδὲ δις ἀλλὰ πολλάκις μαρτυρήσαντες" وبالرغم من ذلك رفضوا أن يُطْلق عليهم لقب شهداء μάρτυρες من قِبَل المسيحيين هناك، إذ رأوا أنهم لم يتكمّلوا بعد، فقط كانوا معترفين ὁμόλογοι. وبالرغم من ذلك نجد أن أولئك الذين أُطْلِق عليهم لقب معترفين ὁμόλογοι قيل عنهم أيضًا أنّهم نالوا "الشهادة الحسنة τὴν καλὴν μαρτυρίαν"[٢٤]. كما نقرأ عن شخصٍ كان يستشهد μαρτυρεῖν مرارًا!! وأيضًا عن شخص يُدعى أتالوس *Attalos* كُتب عنه أنّه: "من أجل الحقّ، يصير **شهيدًا** لكم παρ' ἐγεγόνει μάρτυς ἀεὶ ἡμῖν ἀληθείας"[٢٥].

نطالع في رسائل المسيحيين عن شهداء مدينة ليون بفرنسا (١٧٧م)، حديثًا عن استشهاد وشهادة بوثينس الذي كان أسقفًا على ليون، إذ نقرأ: "لقد كُلِّف المُطوَّب بوثينوس برعاية إقليم ليون، لقد كان له من العمر ما يفوق التسعين عامًا كما لم تكن صحته على ما يرام. ولأنّه يعاني من بعض الأمراض، كان يجد صعوبة في التنفُّس، ولكن لأنه كان متشوِّقًا **للشهادة**، قد أُعطي قوة من غلوة الروح [في داخله]. لقد ساقوه أمام الوالي، وهو مُنهك من قِبَل المرض والشيخوخة وجسده الهَرِم، ولكنه تمسّك بالحياة، حتّى يغلب فيه، المسيح. لقد قدّمه الجنود للوالي، وقد صاحبه بعض القضاة المدنيين

[23] *The Nicene and Post-Nicene Fathers*, edit. by: Schaff, Philip,, Second Series Vol. I. (Oak Harbor: 1997) ,*Eus. Hist. Eccl.*, v, 1 f.
[24] Ibid., v, 1, 30
[25] Ibid., v, 1, 43

فضلاً عن الجمع بأكمله، الذي صاح ضِدّه وكأنّه المسيح ذاته. لقد قدّم **شهادة** حسنة. وحينما سأله الحاكم، عمّن يكون إله المسيحيين، أجاب: 'ستعرف، إن كنت مستحقًّا لهذا'. حينها، جرّوه بلا شفقة وهم يكيلون له اللّكمات، وقد هاجمه الواقفون بكلِّ الأشكال، مستخدمين أرجلهم وقبضاتهم، دون مراعاة لكبر سنه، وأولئك الذين لم يكونوا على مقربة منه، ألقوا عليه بكلّ ما في أيديهم، لقد تصرّف الجميع وكأنّ عدم مشاركتهم في الاعتداء عليه بمثابة تقصير بل وجرمٌ خطير، إذ اعتقدوا أنّهم بهذا يكرّمون الآلهة. وبالكاد كان يلتقط أنفاسه حينما ألقوا به في السجن، بعدها بيومين مات هناك."[٢٦].

نقرأ في أعمال **يوستينوس** (١٦٥-١٦٧م) عن الشهداء وقد خلع عليهم القديس يوستينوس لقب؛ "**الشهداء** القديسين οἱ ἅγιοι μάρτυρες" وقداستهم هي نِتاج اعترافهم بالمُخلِّص الذي قدَّسهم لذاته وصيَّرهم ترنيمة عذبة في فم الكنيسة، إذ قد؛ "أنهوا **شهادتهم** بالاعتراف بمخلِّصنا τὸ ἐτελείωσαν μαρτύριον ἐν τῇ τοῦ σωτῆρος ἡμῶν ὁμολογίᾳ".

كما نقرأ في رسالة **ديونسيوس الكورنثي** (١٧١م) *Dionysius of Corinth* إلى أهل روميه، عن القديسيْن بطرس وبولس[٢٧] أنّهما بعد "أن علَّموا معًا في إيطاليا، **استشهدوا** في ذاك الزمان εἰς τὴν' Ιταλίαν ὁμόσε διδάξαντες ἐμαρτύρησαν κατὰ τὸν αὐτὸν καιρόν".

ونجد أنّ **ميليتوس** (١٧٥-١٨٠م) أسقف ساردس في مؤلّفه "عن القيامة περὶ τοῦ πάσχα" يستخدم كلمة ἐμαρτύρησεν في حديثه عن شهادة الأسقف ساجاريس[٢٨] *sagaris*.

في بداية استخدام مصطلح الشهادة في قالب الموت من أجل الإيمان، نجد أنه استُخْدِم، في بعض الأحيان، للتعبير عن أولئك الذين اعترفوا بإيمانهم

[26] Musurillo, H. *The Acts of the Christian Martyrs*. Oxford: Clarendon, 1972, 71
[27] Ibid., ii, 25, 8
[28] Ibid., iv, 26, 3

مغامرين بحياتهم ولكنّهم لم يَصِلوا إلى الموت، وهو ما أشار إليه **هيجيسيبوس** (١٨٠م) [٢٩] *Hegesippus* في حديثه عن أولئك الذين أقرّوا بإيمانهم أمام الإمبراطور دومتيان (٨١ ـ ٩٦م)، ورغم ذلك لم ينالوا إكليل الشهادة ورجعوا إلى كنائسهم بفلسطين حيث أُطلق عليهم لقب شهداء[٣٠] μάρτυρες. وقد استخدم هيجيسيبوس تعبير μαρτυρεῖν في مَعْرَض حديثه عن شهادة سمعان ابن كليوباس في عهد تراجان الإمبراطور (٩٨ ـ ١١٧م)[٣١]. كما استخدمها في شهادته عمّا حدث ليعقوب أخي الرب، الذي أُلقي به من فوق جناح الهيكل، ورُجِم نتيجة شهادته ليسوع أنّه هو المسيح إذ؛ "هو [يسوع] نفسه يجلس في السماء عن يمين القوّة وسوف يأتي على سحاب السماء"، بعدها ضربه أحد الموجودين على رأسه و"نال الشهادة καὶ οὕτως ἐμαρτύρησεν"[٣٢] وكانت شهادته "ك [شهادة] الربّ ὡς καὶ ὁ κύριος"[٣٣]. وبالرغم من تلك الدلالات الواضحة التي تَقْرِن الشهادة μαρτυρεῖν، بالموت، نجد أن هيجيسيبوس قد استخدم نفس الكلمة أيضًا للتعبير عن الشهادات الشفويّة، في مواضعٍ أخرى[٣٤].

لقد دوَّن لنا **ترتليان** (٢٢٣ـ٢٤٠م) سيرة الشهيدتين بربتوا وفيليكيتس "The Passion of the Holy Martyrs Perpetua and Felicitas"، في مؤلّف يحتوي على ستّة فصول. كما كان له مؤلّف عن الشهداء أيضًا بعنوان "Ad-Martyras"، مكوّن من ستّة فصول أيضًا، كتبه إبّان صدور مرسوم من سبتيموس ساويرس (٢٠٢ـ٢١١م)، الذي يُحرِّم فيه التبشير والكرازة لغير المسيحيين، ممّا أدى إلى اضطهاد شديد على الكنيسة وبالأخص في مصر

---

[٢٩] هو أحد الكتّاب الكنسيين الذين كتبوا ضدّ الهراطقة، وهو من أصل يهودي، ومن مواطني فلسطين. كتب خمسة كتب عقائديّة الصبغة لم يتبق منها سوى أجزاء قليلة أوردها يوسابيوس في مؤلّفه تاريخ الكنيسة.

[30] *Eus., op. cit.*, iii, 20, 6;32,6

[31] Ibid., iii, 32, 3

[32] Ibid., ii, 23, 18

[33] Ibid., iv, 22,4

[34] Ibid., ii, 23, 10; 23, 14; 32,2

وشمال أفريقيا. كما نقرأ في مؤلّف آخر لترتليان، والذي يحمل عنوان "Ad-Scapulam" عن أول نصّ لاتيني مسيحيّ مُدوَّن؛ وهو يتناول أعمال شهداء إسْقِلّي (شمال افريقيا)[٣٥].

عند ترتليان، أولئك الذين لم يُحكم عليهم بالموت كان يُطْلَق عليهم أيضًا لقب شهداء *martyrs*[٣٦]. ويرى ترتليان أنّ موت الوثني يختلف عن موت المسيحيّ الذي قد يحمل مزية الشهادة؛ فالأول يموت على فراشه الوثير موتًا طبيعيًّا، بينما الأخير يموت "من فرط ألم **الشهادة**". لذا فإنّ "المفتاح الأوحد الذي يفتح الفردوس [مباشرة] هو إهراق دمائك"[٣٧].

الاستشهاد عند ترتليان هو قوّة وبناء للكنيسة، لذا يقول: "أيّها **الشهداء** البواسل والسعداء! لقد اخترتم وانتُخبتم لمجد ربّنا يسوع المسيح. إنّ الذي يُعظّمه ويُكرِّمه ويعبده يجب عليه أن يُطالع هذه الأمثلة الجديدة لبناء الكنيسة، لأنّها لا تقلّ جمالاً عن أمثلة الماضي. فهي تشهد بأنّ الروح نفسه يعمل دائمًا، إلى جانب الإله الضابط الكلّ وابنه يسوع المسيح ربّنا، فإليهم يجب المجد والقدرة المطلقة إلى دهر الدهور، آمين"[٣٨].

وفي رسالة **لسيرابيون الأنطاكي** (٢١١م) نجد إشارة إلى أسقف كان يُوقِّع على الرسائل بتلك الصياغة؛ "الشهيد أوريليوس كيرينيوس Αὐρήλιος Κυρίνιος μάρτυς"[٣٩] في إشارة واضحة إلى أنّه من الذين مرّوا بفترات الاضطهاد ولكنّه لم يَنَلْ إكليل الموت آنذاك.

وفي رسالة **بوليكراتس** الذي من أفسس، إلى فيكتور الروماني نقرأ بخصوص الأمور المتعلقة بالفصح، أنّه كان يطلق لقب الأسقف والشهيد

---

[٣٥] أدلبيرت. ج. همّان، دليل إلى قراءة آباء الكنيسة، عرّبه الأب صبحي حموي اليسوعي (دار المشرق: لبنان ٢٠٠٢)، ص ٦٦.

[36] CF., Tertulianus, *Ad Mart., 1*

[37] *The Ante-Nicene Fathers:op. cit.,* vol.iii, *A Treatise on the Soul*, ch iv, 231.

[38] *The Ante-Nicene Father, op. cit., The Passion of the Holy Martyrs Perpetua and Felicitas*, ch vi, 705

[39] *Eus, Op.cit.*, v, 19, 3

ἐπίσκοπος καί μάρτυς على كلٍّ من بوليكاربوس من سميرنا، وتراسياس *Thraseas* من أيومنكيا، وساجاريس (المذكور آنفًا)[٤٠].

لذا يمكننا القول بإنّ مُصطلح الشهيد ومشتقاته كان يُعبِّر، في آسيا الصغرى على الأقل، عن الموت من أجل الإيمان بالمسيح، وذلك منذ منتصف القرن الثاني الميلادي. إنّ تطوُّر هذا المصطلح قد وجد له أرضًا خصبة في كنائس آسيا الصغرى، إذ أنّها شهدت أول تعبير إنجيلي مباشر عن الشهادة وذلك في سفر الرؤيا، في جزيرة بطمس[٤١].

وبالرغم من أنْ تعبيرات الشهادة كانت تُذكَر عَرَضًا في رسائل ومؤلفّات الكتّاب الكنسيين إلاّ أن المدلول كان سريع الانتشار نتيجة للاضطهاد الواقع على الكنيسة، من جهةٍ، واحتياجها للتعبير عن تلك الحركة نحو ملكوت الله بمصطلحات تحمل مدلولاً إيمانيًّا واسع النطاق، من جهةٍ أخرى.

كانت الشهادة عند **القديس إيريناؤس** (٢٠٢م) هي تعبير الكنيسة عن محبّتها لله الآب، لذا فهي تُقدِّم له تلك الباقة العطرة من الطاعة الكاملة حتّى الألم والموت تعبيرًا عن إيمانها، ووعيًا منها أنّ كمال المحبّة هو الموت من أجل المحبوب، وهو ما تسلّمته من موت المسيح يسوع؛ "وبسبب المحبة التي تحفظها الكنيسة من نحو الله، تُرْسِل، من كلِّ مكان، جمعًا من **الشهداء** إلى الآب"[٤٢].

إنّ الشهادة هي التعبير عن حركة الروح في المسيحيين، فالروح يتغلَّب على ضعف الجسد ويستأسره إلى طاعة المسيح، كما استأسر الفكر، لذا يقف الشهداء أمام الموت بلا خوف لأنّ الروح يقظ فيهم، بل ويوقظ قلوبهم على وعي الأبديّة في كلِّ لحظة من لحظات آلامهم؛ "... سوف يُبتلع ضعف الجسد من

---

[40] G.Kittel, G.Friedrich; *Theological Dictionary of the New Testament* (e.ed.), Eerdmans Publishing company, Grand Rapids Michigan(1976), 504-508.

[٤١] «أنا عارف أعمالك وأين تسكن حيث كرسيّ الشيطان وأنت متمسك باسمي ولم تنكر إيماني حتّى في الأيام التي فيها كان أنتيباس شهيدي Ἀντιπᾶς ὁ μάρτυς μου الأمين الذي قُتِلَ عندكم حيث الشيطان يسكن» (رؤ ٢ : ١٣).

[42] Irenaeus; *Against Heresies*, Book iv, ch xxxiii.508

قِبَل قوة الروح. من تَحْدُث في داخله تلك الحركة لن يُدعى جسديًّا بعد، بل روحيًّا، بسبب شركة الروح. ولهذا نجد أن **الشهداء** يحملون **الشهادة** هازئين بالموت، لا بسبب عجز الجسد، بل ليقظة الروح ...''[٤٣]

يكتب القديس إيريناؤس في مؤلّفه ''ضِدَّ الهراطقة'' عن الذين يُحقّرون من قيمة الشهداء قائلاً: ''لقد بلغ الطيش من البعض مبلغًا كبيرًا إذ أنهم يصبُّون أحقادهم على **الشهداء**، ملوِّثين سيرة أولئك الذين **ذُبحوا من أجل اعترافهم بالرب**، وتألّموا بكلّ الآلامات التي سبق وتنبأ بها الرب، وهم مجاهدون لاقتفاء آثار آلامه، صائرين **شهداء** من أجل ذاك المتألّم''. ويضيف قائلاً: ''وحينما يُستعْلَم عن دمائهم، وهم في المجد، سوف يتحيّر الجميع من المسيح الذي أزال كلّ ما وَصَمْ استشهادهم''[٤٤].

عند **كليمندس السكندري** (٢١٥م)، الشهداء هم المؤمنون الكاملون في الاعتراف τέλειοι كما أن الأنبياء هم كاملون μάρτυρες ἐν ὁμολογίᾳ في النبوّة[٤٥]. كما يكتب كليمندس السكندري عن المعنى الحياتي والتطبيقي والإنجيلي عن الاستشهاد، في مؤلّفه المتفرقات[٤٦]، فيقول: ''إن **الشهيد** بسبب حبه للرب يفارق الحياة بمنتهى السرور ... ولذلك نحن ندعو **الاستشهاد** 'كمالاً'، ليس لأن الإنسان به يصل إلى تكميل حياته مثل الباقين، بل لأنه يظهر كمال فعل المحبّة ... **والاعتراف من أجل الله بمثابة شهادة أيضًا**، فإن كلّ نفس تسلك بالنقاوة وبمعرفة الله وتحفظ وصاياه فإنها تكون **شاهدة** [شهيدة] بالسيرة وبالكلمة. فمهما كانت الطريقة التي بها تفارق جسدها فهي تسكب إيمانها كمثل الدم طوال حياتها وحتّى إلى وقت خروجها. ولذلك قال الرب في الإنجيل: «إن كلّ من ترك أبًا أو أمًا أو إخوة ...

---

[43] Ibid, Book v, ch ix, .535

[44] Ibid,, Book iii, ch xviii, 447

[45] *Stromateis* iv, xxi. 133. 1, cited by; G.Kittel, G.Friedrich; *Theological Dictionary of the New Testament* (e.ed.), 504-508.

[٤٦] أثناسيوس (راهب من الكنيسة القبطيّة)؛ فهرس كتابات آباء كنيسة الإسكندريّة، الكتابات اليونانيّة، الفصل الثالث ص ٥٠.

من أجل الإنجيل ومن أجل اسمي» يكون مغبوطًا؛ وهو بذلك لا يشير إلى الاستشهاد العادي، بل إلى **الاستشهاد بحسب المعرفة، بالسلوك حسب منهج الإنجيل من أجل محبة الرب**".

وفي تعليق له على الآية الواردة في (لو ١٢: ٨)، يقول كليمندس: "إنّ الاعتراف بالشفاه فقط ليس اعترافًا عامًّا بل جزئيًّا، بينما اعتراف الأعمال والسلوك يوافق الإيمان به [أي بالمخلِّص]". الحبّ هو التوصيف الذي أجمل به كليمندس توصيف حالة الشهادة وجُرأة الشهيد، إذ يقول: "إنْ ارتقى أحدٌ إلى الحبّ، يكون مغبوطًا بالحق، **وشهيدًا** حقيقيًّا، إذ قد اعترف بالتمام للوصيّة ولله بواسطة الربّ [يسوع] الذي أحبّه"[٤٧].

ويضيف كليمندس في موضعٍ آخر حديثًا عن الشهيد الغنوسي[٤٨] *gnostic martyr* في منحاه الإيجابي، وهو الذي لم يستطع العالم ولا الشيطان أن ينال من إيمانه أو أن يستعبد إرادته الحرّة؛ فالمسيحيّ الحقيقي عند كليمندس هو شهيدٌ ولكنّه شهيدٌ بالوعي والمعرفة، والسلوك طبقًا لتلك المعرفة الإلهيّة.

يكتب **العلاّمه أوريجانوس** (٢٥٤م) في عظاته على سفر إرميا، عن كنيسة الإسكندريّة التي كانت تحيا بين براثن الاضطهاد ولكن بخور تقدماتها كان يفوح وينتشر، قائلاً: "كنّا في العادة نعود من المقابر، حيث كنّا في صحبة أجساد القديسين، إلى اجتماعاتنا التي تُعقَد في الكنيسة الصامدة. كان الموعوظون يستمعون إلى العظات في **جوٍّ مفعم بالاستشهاد**. لقد غلبوا الألم، واعترفوا بالله الحيّ بلا خوف. رأينا بالحق أعمالاً عجيبة بطوليّة. كان المؤمنون قلّة في العدد، لكنّهم مؤمنون بالحقّ؛ أحرزوا تقدّمًا في الطريق المستقيم الضيِّق المؤدِّي إلى الحياة."[٤٩]

---

47 *Stromata* iv.ix. p.422
48 *Stromata* iv.xiv. p.426
49 In Jer. Hom. 4: 3

عن كتاب: الاستشهاد عند العلاّمة أوريجانوس، تادرس يعقوب (القمُص)، (١٩٩٦)، ص ٦.

جدير بالذكر أنّه حينما قُبض على والد أوريجانوس وزُجّ به في السجن (قد استُشهد فيما بعد)، بينما كان أوريجانوس طفلاً، كتب يوسابيوس القيصري، قائلاً: "ولمّا ازدادت نيران الاضطهاد اشتعالاً، ونال الكثيرون إكليل **الشهادة**، تملّكت رغبة **الاستشهاد** نفس أوريجانوس، رغم أنّه كان لا يزال ولدًا صغيرًا، حتّى إنّه اقترب من الخطر، وتقدّم متحفّزًا إلى النضال بغيرة متأجّجة ... ولأنّ غيرته المتأجّجة المتجاوزة حدود سنّه لم تسمح له بالبقاء ساكتًا، أرسل لأبيه رسالة مشجّعة عن **الاستشهاد**، نصحه فيها قائلاً: 'احذر من أن تغيّر موقفك بسببنا'."[٥٠].

الشهادة عند أوريجانوس هي "موت مسيحيّ وتقويّ ومُقدَّس" في مقابل الموت العّام الذي يصيب كلّ البشر. كما يتحدّث في موضعٍ آخر عن معموديّة الدم التي لها فاعليّة المعموديّة في التطهير من الخطايا السالفة، إذ يقول: "كم من مرّات تعرّضنا فيها لخطر الموت العادي، عندئذ نسأل أنفسنا عمّا إذا كنّا قد حُفظنا لما هو أفضل؛ حُفظنا **لمعموديّة الدم** التي تغسل خطايانا، وتسمح لنا أن نحتلَّ مكاننا في المذبح السماوي مع رفاقنا في الجهاد الروحي"[٥١]. لذا يضيف أوريجانوس في موضعٍ آخر قائلاً: "إن أردنا خلاص نفوسنا من أجل العودة بها إلى ما هو أفضل دعنا نُضيِّعها **باستشهادنا**." [٥٢]

نجد بعض الكتّاب المسيحيين؛ مثل **هيبوليتوس** (٢٣٥م)، يطلقون هذا اللَّقب؛ "شهيد μάρτυς"، على من كانوا قاب قوسين أو أدنى من الموت من أجل المسيح، بل ويطلقه هيبوليتوس على المسيحيين الذين أُجبروا على العمل في مناجم سردينيا وحُرِّروا فيما بعد[٥٣].

---

[50] *Hist. eccl*. 6.2.294

[51] *An Exhortation to Martydrom* 39

عن الكتاب السابق، ص ١٥.

[52] Ibid, 4

عن الكتاب السابق، ص ١٣.

[53] Philos., ix, 12,10, cited by; G.Kittel, G.Friedrich; *Theological Dictionary of the New Testament* (e.ed.), 504-508.

وفي إشارة للآلامات التي كانت تُصاحب الاضطهاد، يذكر **يوسابيوس** القيصري (٣٤٠م) عن أحد قادة المونتانيين؛ الذي يُدعَى تميسون *Themison* "الذي لم يحتمل الاعتراف ὁ μὴ βαστάσας τῆς ὁμολογίας" أنّه استطاع أن يبتاع حريّته مقابل مبلغ كبير من المال وقد أَطْلَق عليه أتباعه لقب "شهيد"، وهو ما حدث مع شخص آخر يُدعَى ألكسندر[٥٤] *Alexander*. كما نقرأ في التاريخ الكنسي ليوسابيوس[٥٥] عن شهيد مسيحيّ يدعى فتيوس إباجاثوس *Vettius Epagathus*، قيل عنه إنّه: "تلميذ حقيقي للمسيح تابعًا للحمل أينما ذهب ἀκολουθῶν τῷ ἀρνίῳ ὅπου ἂν ὑπάγῃ". لقد ألحق يوسابيوس بمؤلّفه الكبير ذي العشرة مجلّدات؛ "تاريخ الكنيسة"، ملحقًا بعنوان "**في شهداء فلسطين**"، يسرد فيه ما حدث من اضطهاد واستشهاد في قيصريّة لمدّة ثمانِ سنوات.

وفي التاريخ الكنسي **لسوزومِن**[٥٦] نقرأ عن كنيسة تمّ تسميتها على اسم شهيدٍ يُدعى أكاكياس.

وفي **المراسيم الرسوليّة** ترتسم أمامنا صورة للشهداء الأُوّل الذين كانوا أنقياء لأنهم صبروا وثبتوا حينما فغر مارد الموت فاه ليبتلعهم؛ "وبخصوص **الشهداء** نخبركم بأنهم قد حصلوا على كلّ المجد معكم، إذ نكرِّم يعقوب المبارك والأسقف، وإستفانوس القديس والشريك في الخدمة. هم مباركون من قِبَل الله، ومكرّمين من القديسين، إذ أنهم أنقياء من التعدي، ثابتين حينما امتُحِنوا بالخطيئة ..."[٥٧]

لقد جمع **يوسابيوس القيصري** الكثير من أعمال شهداء في مؤلّفه "التاريخ الكنسي"؛ منهم يوستين الشهيد الذي "قد **استشهد** نتيجة لمؤامرة دبّرها ضدّه

---

[54] *Eus. op. cit.*, v, 18, 5.
[55] *Hist. eccl.* 5.1.10; Musurillo, *Acts*, 64; *cited by;* Aune, D. E.. *Vol. 52B, Revelation 17-22 op.cit.*,813.
[56] *The Ecclesiastical History of Sozomen*, Book iv, ch.21.
[57] *The Ante-Nicene Fathers, op. cit.*,Vol. vii, *Constitutions of the Holy Apostles, 387.*

كريسكينس *Crescens* ... وبعد أن دحره يوستين مرارًا في مناقشة عامّة، حاز **باستشهاده** على جزاء النصرة، مائثًا دفاعًا عن الحقّ الذي كرز به"[٥٨].

كما ظهرت الكثير من الأدبيّات المسيحيّة التي تمتدح الشهداء وشجاعتهم وجُرأتهم فضلاً عن شرحها لقيمة الشهادة كموت مُكلَّل بأكاليل الغار السماويّة والتي تمنح من ينالونها مكانة فريدة في ملكوت اللّه. من تلك الأعمال مؤلَّف العلاّمه أوريجانوس؛ "الحث على الاستشهاد"، بعد صدور حكم الإمبراطور مكسيمينوس قيصر والذي يقضي بإعدام كلّ رؤساء الكنائس. وفيه يقول: "إنّ موت **الشهداء** القديسين يهزم قوى الشر. كما لو أن صبرهم واعترافهم حتّى الموت وحماسهم للتقوى يثلم حدّة هجمات القوى الشريرة ضدَّ المتألمين"[٥٩].

كما نقرأ عن عمل آخر للقديس **كبريانوس** (٢٥٨م) يحمل نفس المسمَّى "الحث على الاستشهاد" قد وجّهه إلى فورتوناتوس لتشديد عزم المسيحيين أمام نيران الاضطهاد المتأجّجة. وفي رسالة له إلى كرنيليوس الأسقف، يستهلّها القديس كبريانوس بالثناء على رفيقه في خدمة ملكوت اللّه، قائلاً: "أخي العزيز، وصلتنا **الشهادات** المجيدة عن إيمانك وشجاعتك". ويختتمها بكلماتٍ مؤثّرة للغاية، تعبِّر عن إسخاطولوجيّة وعي وبصيرة الكنيسة في تلك الأزمنة المُحاصرة بالاضطهاد والألم، قائلاً: "إن أنعم اللّه على أحدنا بالموت قريبًا وباستباق الآخر، فلتواصل صداقتنا عملها لدى الربّ، ولا تتوقّف الصلاة لإخوتنا وأخواتنا عن مخاطبة رحمة الآب"[٦٠].

لقد أرسل القديس كبريانوس رسالة تعزية[٦١] (عام ٢٥٧م) لمن يرزحون تحت نير الاضطهاد في المناجم لكونهم مسيحيين، يقول فيها: "وحيث إنّه لم يعد

---

[58] *Hist. eccl.* 4.16.193

[59] *Comm. on John*, book 6: 36

عن كتاب: الاستشهاد عند العلاّمة أوريجانوس، ص ١٨

[٦٠] دليل إلى قراءة آباء الكنيسة، ص ٧٣.

[٦١] قد ترجم هذه الرسالة إلى العربيّة؛ الدكتور ميشيل بديع عبد الملك، وذلك عن النصّ الألماني المنشور في:

ينقصكم شيئًا من الأعمال الصالحة [ولم تقدموه]، إلاّ أنّكم الآن ترفعون قلوب الإخوة **للشهادة** وذلك من خلال ألم أجسادكم واعتراف أفواهكم". ويضيف قائلاً: "إنّكم يوميًّا تنتظرون بفرحٍ يوم الشفاء لنياحتكم، وتشتاقون في كلّ لحظة أن يفرزوكم من العالم وتسرعون **بشهادتكم** إلي عطايا الفرح والمساكن السمائيّة، لكي تروا النور الوضّاء بعد ظلمة هذا العالم وتنالوا مجدًا يشع على كلّ المتألمين والمجاهدين".

يكتب القديس **أثناسيوس** الرسولي (٣٧٣م) عن الشهيد فيقول: "إنّ الدليل على **الشهيد** *martyr* لا يكمن فقط في رفضه التبخير للأوثان، فرفض إنكار الإيمان هو **شهادة** *testimony* مضيئة لضميرٍ صالح"[٦٢]. ويذكر لنا القديس أثناسيوس في حديثه عن الاضطهاد الذي لاقاه أهل الإسكندريّة على يد غريغوريوس مبعوث الإمبراطور الذي مال تجاه الأريوسيّة؛ أنّ الكثيرين قد لاقوا الآلام في خِضمّ تلك الأحداث؛ منهم "صرابامون الأسقف **والمعترف**"[٦٣] الذي تمّ نفيه، كذلك "بوتامون الأسقف **والمعترف**" الذي ضُرب بالعصي على رقبته حتّى قارب الموت ولكنّه بعد فترة نال إكليل الشهادة و"حصل على مجد **الشهادة الثانيّة** في المسيح"[٦٤]. إنّ آلام الاضطهادات التي ثارت على مسيحيي الإسكندريّة تحولت فيهم "إلى **شهادة** ... إذ لم يخونوا ولم ينكروا الإيمان الحقيقي الذي في المسيح"[٦٥].

Text der Kirchenvaeter, *eine Auswahl nach Themen geordnet*, Bd. IV, Muenchen 1964, S. 93- 9.

[62] *The Nicene and Post-Nicene Fathers, op. cit.,* Vol. iv, Athanasius: select works and letters, *to the Bishops of Egypt,* ch. ii, 234

[٦٣] نقرأ نفس الصياغة عند جيروم، إذ كان يصف ميتوديوس الأولمبي بأنّه "الأسقف والشهيد". انظر: ميتوديوس الأولمبي، الوليمة، سلسلة التراث الروحي (دار المشرق: لبنان ٢٠٠٣).

[64] Ibid, ,*The History of the Arians,* Part ii, *The Easterns Decline the Council at Rome*, 273

[65] Ibid, *Treatment of the Poor*, 293

إنّ القديس أنطونيوس، بحسب ما جاء في سيرته التي دوّنها القديس أثناسيوس، "اشتاق إلى **الشهادة**"، "وقد خدم **المعترفين** في المناجم والسجون"[٦٦].

أمّا **هيلاري** أسقف بواتييه (٣٦٧م) فيكتب عن شهادة القديس بولس، فيقول: "كانت **شهادته** بمثابة تقدمة كاملة لإيمانٍ بلا عيب"[٦٧]. ويضيف عن الرسل الإثني عشر أنّهم "**شهود** *witnesses* له [الربّ] في **التعليم والشهادة** *martyrdom*"[٦٨].

ويخبرنا القديس **باسيليوس الكبير** (٣٧٩م)، في أكثر من موضعٍ، عن ذكرى سنويّة[٦٩] كانت تُقدَّم للشهداء[٧٠] في الكنيسة بل وفي المدينة كلّها[٧١] وهي العادة التي نمت بدءًا من القرن الثاني الميلادي، وانتشرت في القرن الثالث مع تزايد أعداد الشهداء. وقد كانوا في الاحتفالات السنويّة يقرأون وثائق المعترفين الشهيرين، لأنّها كانت محفوظة بعناية في الكنائس، وروايات الاستشهاد التي حرّرها شهود معاصرون، كشهادة بوليكاربوس وبربتوا وفيليكيتس[٧٢].

إنّ القديس باسيليوس يفرِّق بين الاعتراف والشهادة، إذ يقول: "أنتم أبناء المعترفين *confessors*، أنتم أبناء الشهداء *martyrs*"[٧٣]. وعن شفاعة

---

[66] *The Nicene and Post-Nicene Fathers*, Vol. iv, *Life of Antony*, 208

[67] *The Nicene and Post-Nicene Fathers Second Series*,1997, Vol. ix, *Hilary of Poitiers, On the Trinity*, Book vi, 105

[68] Ibid, 83

[٦٩] يكتب القديس أغسطينوس في هذا السياق، قائلاً: "إذ نُحيي ذكراهم [الشهداء] نطلب منه [الله] العون، ليكون الاحتفال بذكراهم حافزًا لنا إلى التشبُّه بهم، وصولاً إلى ما هم عليه من مجدٍ وأكاليل". القديس أغسطينوس، مدينة الله، الجزء الأوّل، الكتاب الثامن، سلسلة التراث الروحي (دار المشرق: لبنان ٢٠٠٢)، ف ٢٧ ص ٤١٤.

[٧٠] كان يطلق على مكان دفن الشهيد؛ "μαρτύριον". لقد وردت عدّة شهادات عن طقس الاحتفال بذكرى الشهداء؛ منها احتفال صيدونيوس أبوليناريوس أسقف كليرمون بفرنسا بتذكار شهادة القديس يوستس الشهيد (روما ١٦٥م)، كذلك القانونان ٩١، ٩٢ للقديس أثناسيوس؛ وأيضًا عند القديس أغسطينوس وكيريانوس وغيرهم. انظر: متّى المسكين (الأب)، دراسة روحيّة عن الشهادة والشهداء، دير القديس أنبا مقار، ط.٣، ص ٢٤-٢٧.

[71] *The Nicene and Post-Nicene*,Vol. viii, St. Basil, *Letters, Letter cclil*, 292; c.f. *Letter clxxvi*, 220.

[٧٢] دليل إلى قراءة آباء الكنيسة، ص ٥٠.

[73] Ibid, *Letter ccxl*,281.

الأربعين شهيدًا بسبسطية، يكتب القديس باسيليوس الكبير، فيقول: "الناس يجهدون لكي يجدوا واحدًا يُصلّي عنهم، وها هنا أربعون مرّة واحدة!! فإن كان اثنان أو ثلاثة حينما يجتمعون باسم الربّ يكون اللّه في وسطهم، فماذا إذا اجتمع أربعون؟ من ذا الذي يشكّ إذن في وجود اللّه وسطهم؟ ... والعجب أنّهم يزورون البيوت غير متفرّقين كلما يستضيفهم أحد من الذين يتشفّعون بهم، فهم يسيرون معًا كخورس واحد مُتّحِد"[٧٤].

في عظة ألقاها القديس **غريغوريوس النيسي** (٣٩٤-٣٩٥م) عن الشهيد ثيودور، يمزج فيها القديس، مديحه لبطولته الفائقة، بمدى النفع الذي آل إلى الكنيسة بحضوره معها، كشفيع عنها إلى الربّ، فيقول: "لقد سار إلى اللّه في الطريق الأفضل والأعظم طوبى؛ تاركًا لنا بقاياه في هذا البهو، التي هي ذكرى نضاله، التي صارت لنا بحدّ ذاتها رواق تعليم وتهذيب تجتمع حولها الجماهير، فصارت مصدر تهذيب للكنيسة، تطرد الأرواح النجسة وتُحْدِر لنا الملائكة القديسين، نطلب بها ما هو صالح لنا، حتّى صارت بمثابة بهو استشفاء لكلّ الأوجاع، وملجأ أمينًا للذين داهمتهم المحن، وكنز خيرات للفقراء والمعوزين، ومنارة يهتدي بها التائهون، وعيدًا لا ينتهي لمحبّي تقديس الأيام، ومكان احتشاد لا يفرغ من الآتين والذاهبين". ويستطرد متضرِّعًا إلى الشهيد ثيودور، طالبًا منه تكوين جوقة من الشفاعة والصلاة ترتفع أمام اللّه عن المدينة المُهدّدة بالحرب، فيقول: "**كشهيد** أسرع بالمعونة لإخوتك العبيد ... توسَّل من أجل السلام ... إن كنت تحتاج إلى مزيد من المعونة من أجل التوسُّل المناسب عن هذا الأمر، فاجمع صفوف **الشهداء** إخوتك. ذكِّر بطرس وأيقظ بولس ليكونا معك"[٧٥].

---

[٧٤] متّى المسكين (الأب)، دراسة روحيّة عن الشهادة والشهداء، ص ٢٣.

[٧٥] المرجع السابق، ص ٢٢.

أمّا القديس **كيرلُّس الكبير** (٤٤٤م) فيرى أنّ المعموديّة لها وجهين؛ الأوّل، "معموديّة الماء للذين استناروا"، والثاني: "**للشهداء** القديسين، أثناء الاضطهاد، بدمائهم"[٧٦].

نقرأ في رسائل سريانيّة قديمة، نصًّا من تراث **مار يعقوب السروجي** (٥١٢م) عن "حبيب" الشهيد الذي استشهد حرقًا بالنار، الذي يقول عنه: "من وسط قطع الفحم الحيّة يبرز لنا رجلاً بطوليًّا، يدعوني لكي أرسم له صورة، ولكن النار المتوهّجة تمنعني"[٧٧].

ختامًا

يروي لنا يوستينوس الشهيد في حواره مع تريفو، أن يسوع، نجّار الناصرة، في سنيه الأولى، ما قبل بدء خدمته العامة، كان مُتخصِّصًا في صناعة كلٍّ من "المحراث والنير"[٧٨]. ولعلّ تلك الصناعة قد تجسّدت في خدمته إذ كان يلقي بنير الإيمان على المسيحيين ليحملوا محراث الملكوت ويشهدوا للعالم عن الخلاص المُعطى لكلّ من يقبل نخس الروح وعطيّة الروح. وما الشهادة إلاّ قبول النير وإحناء العنق من أجل ارتفاع المسيحيّة على رابية العالم.

يُتْبَع

[76] *The Nicene and Post-Nicene Fathers,*Vol. vii, Cyril, *Catechetical Lectures,* Lecture xiii, 88; c.f., Lecture iii, 13.
[77] *The Ante-Nicene Fathers,* Vol. viii, *Ancient Syriac Documents, History of Armenia,*708.
[78] *The Ante-Nicene Fathers, vol.1, Dialogue of Justin Philosopher and Martyr, with Trypho, a Jew,* 193.